التجديد البيداغوجي الدائم والمستمر في المدرسة الجزائرية كآلية لتجويد العملية التعليمية في عصر الرقمنة

Permanent and Continuous Pedagogical Innovation in Algerian School as a Mechanism to Improve the Educational Process in the Era of Digitization

د. إسماعيل ميهوبي
كلّية العلوم الاجتماعية والإنسانية، مخبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج (الجزائر)
smail.mihoubi@univ-bba.dz

الباحثة: ربيعي سامية
كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر الدراسات في الرقمنة وصناعة المعلومات الإلكترونية بالمكتبات، الأرشيف والتوثيق، جامعة العربي التبسي – تبسة (الجزائر)
rebiai.samia@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/05 **تاريخ القبول: 2021/01/25**

ملخص:

ترتبط عملية التعليم في وقتنا الراهن ارتباطا مباشرا بحركية التحولات والتطورات المتسارعة، خاصة في مجال الرقمنة، والمنظومة التعليمية بالجزائر كغيرها من المنظومات التعليمية العالمية تقف أمام تحديات معقدة، وحاسمة، في ظلّ تأثيرات الرقمنة في طبيعة التعليم، رؤيته وتوجهاته الفلسفية، وضمن نمطية طرائقه البيداغوجية المستحدثة.

سنحاول خلال هذا المقال تقديم تحليل لعمليات الإصلاح التعليمي البيداغوجي في الجزائر، مع اقتراح أسلوب تجديد بيداغوجي دائم ومستمر، يهدف إلى إنتاج تعليم قوي ومرن، يحمل رؤية جديدة للتربية، تُحقق القطيعة البيداغوجية مع التعليم الماضي، ويسعى إلى تحقيق الجودة والنوعية، من خلال استخدامات الرقمنة ضمن أطرها وتقنياتها الناجعة.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، الإصلاح التربوي التعليمي، التجديد البيداغوجي، الرقمنة الجودة التعليمية.

***Abstract*:**

Today the education process is directly linked to the movement of fast transformations and development especially in the field of digitization. The educational system in Algeria, like other educational systems around the world, stands in front of complex and decisive challenges, in light of the impact of digitalization on education nature, its philosophical vision, and within the typicality of its new pedagogical methods. In this article, we try to analyze the pedagogical educational reform processes in Algeria, with the proposal of a permanent and continuous pedagogical reform method, targeted at producing strong and flexible teaching that carries a new vision for education that achieves the pedagogical rupture with older education system and seeks to achieve quality and eminence, through using Digitization within its effective frameworks and techniques.

keywords:Educational reform, pedagogical renewal, digitization educational quality.

مقدمة:

ترتبط عمليات الإصلاح التربوي، بجملة المؤشرات المجتمعية المرافقة للعملية التعليمية وأمام التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية التي تمر بها المجتمعات العالمية والإقليمية، وعلى مستوى المجتمع الجزائري، أين نلحظ حركية متسارعة، أدت إلى تعقد المجتمع الحديث، الذي أصبح قائما على أسس علمية وتكنولوجية، انطلاقا من مبدأ التخصص العلمي وتقسيم العمل.

ويرجع البعض من التربويين جملة المشاكل التي تعاني منها المدارس وكذا انخفاض مستويات التعليم لدى التلاميذ بالتركيز على أسباب خارجية، كقلة الوسائل واكتظاظ الفصول الدراسية، وضعف التعليم، مهملين بذلك تأثير العوامل الداخلية المرتبطة بالعملية التعليمية ذاتها، والتي ترجع في أساسها إلى عدم فعالية النشاطات البيداغوجية المسطرة في هذا المجال، وإجراءات التقويم المرافقة لها، والنقص في التكوين البيداغوجي للمدرسين، فأي تنظيم مدرسي فعال ينطوي على عقد بيداغوجي بين المدرس والتلميذ، فيلتزم كل طرف منهما بقواعده في إطار الأدوار المحتملة على أساس الاقتناع، والعديد من الإجراءات

التقويمية، وبهذا فقط يتم إحداث الجو التنظيمي المناسب سواء لإنتاج ونشر المعرفة أو لاكتسابها، والتمكن منها، وبهذا فالبيداغوجيا ضمن العملية التدريسية تتمثل في النشاطات المتصلة بالعقد البيداغوجي، أي متطلبات التعليم والإشراف بالنسبة للمدرس، ومتطلبات التحصيل بالنسبة للتلميذ، تضاف إليها مختلف القضايا التي قد تؤثر في مردودية مؤسسات التعليم عموما، مثل البرامج ومراجعتها والتوجيه والوسائل التعليمية.

إنّ التجديد البيداغوجي في الجزائر أصبح ضرورة حتمية، خاصة أمام تطور التقنية المعاصرة، المرافقة لاستعمالات الرقمنة كآلية حيوية حديثة، في العملية التعليمية، أين نجد كبريات المنظومات التعليمية العالمية، تستخدمها بشكل لافت وواضح، وفي كل التخصصات دون استثناء، ما يجعل من التجديد التربوي يرتكز في المرحلة الراهنة، على عمليات الإصلاح والتقويم والتحديث في المناهج،وفي الآليات والطرائق التعليمية باستخدام التقنية الرقمية الحديثة، وكل الوسائط التكنولوجية الرقمية الحديثة، ضمن مسار تجديد دائم ومستمر، يرافق كلّ التطورات الحاصلة، والمؤثرة في نوعية ومردودية العملية التعليمية، وانعكاساتها من خلال طبيعة المخرجات التعليمية في النهاية، التي يسعى النظام التعليمي الجزائري من خلالها تحقيق الجودة التعليمية.

سننطلق في تناولنا موضوع ورقة مقالنا العلمي، من واقع عمليات الإصلاح التعليمي البيداغوجي في الجزائر، ولنصل إلى تحديد مراحل، رهانات وتحديات التجديد البيداغوجي في الجزائر، وفي الأخير نقوم بمناقشة واقع البيداغوجيا الراهنة بالنظام التعليمي الجزائري ورهان الجودة التعليمية في عصر الرقمنة.

1- الإصلاح التربوي (التعليمي) في الجزائر .. قراءةسوسيولوجية تربوية تاريخية:

تشهد المنظومة التربوية في الجزائر، ومنذ الاستقلال، إلى يومنا هذا حركية متوالية في سلسلة الإصلاحات التربوية التي ألزمتها، ضرورات تجاوز الأزمات التي يمر بها النظام التربوي (التعليمي)، منذ تأسيس المدرسة الجزائرية إلى وقتنا الراهن.

1-1/ مفهوم الإصلاح التربوي:

يُشير مفهوم الإصلاح التربوي إلى أنّ عملية التغيير في النظام التعليمي أو في جزء منه هي نحو الأحسن، وغالبا ما يتضمن هذا المفهوم معاني اجتماعية واقتصادية وسياسية. (مرسي، 1996، ص77)

يُعرفه بيرش بأنّه أيّ محاولة فكرية أو عملية لإدخال تحسينات على الوضع الراهن للنظام التعليمي سواء كان ذلك متعلقا بالبنية المدرسية أو التنظيم والإدارة أو البرامج التعليمية أو طرائق التدريس أو الكتب الدراسية وغيرها. (البيلاوي، 1998، ص 32)

كما يعني عمليات وتدابير الانتقال بنظام تربوي معين من وضعية تقليدية إلى وضعية تحمل مواصفات الحداثة بمفهومها الشامل، من مناهج وتقنيات وأساليب جديدة، وبالتالي جعل مضامين المناهج الدراسية متمحورة حول المعارف والتخصصات التي لها ارتباطات وظيفية، ومباشرة بالقطاعات الاقتصادية والاجتماعية المنتجة مثل: التقنيات الحديثة والعلوم الدقيقة، والتخصصات التطبيقية وغيرها، مما يستجيب لحاجات التحولات المعرفية والتكنولوجية والاقتصادية والمجتمعية التي تعرفها المجتمعات المعاصرة.(سموك، 2005، ص128)

إذن الإصلاح التربوي هو جملة الآليات والأساليب، التي تتلخص في عمليات المتابعة المقارنة، المرافقة، والتقويم الدائم والمستمر، التي تقوم بها المنظومة التعليمية ممثلة في المسؤولين عليها ومع الشركاء التربويين والاجتماعين الفاعلين، بغية الانتقال بالتعليم من وضع معين إلى وضع ومستوى أفضل منه، وهذا حتى نصل إلى تحقيق الجودة في العملية التعليمية، التي تحقق لنا في الختام مخرجات تربوية تعليمية مأمولة.

1-2/ مراحل الإصلاح التربوي الذي سايرته المدرسة الجزائرية:

عرفت المدرسة الجزائرية بعد الاستقلال إلى غاية اليوم جملة من الإصلاحات، الغاية منها تحسين وتطوير المنظومة التربوية، والدفع بها وجعلها تواكب سياسات التنمية ومتطلبات العصر، وأهم هذه المراحل:

- **المرحلة الأولى** (1962–1970): لقد ورثت الجزائر غداة الاستقلال في 05 يوليو 1962 من التركة الاستعمارية نظاما تربويا يفتقد التوازن الأساسي في هيكله العام، ويعاني اختلالا كبيرا في مجالات عديدة، حيث لم يترك النظام التربوي الاستعماري للجزائر سوى 06 مدارس وكان حجم استيعاب المدارس الستة لا يتجاوز ألف طالب وطالبة فقط.(تركي، 1989، ص47)

وتعتبر هاته المرحلة، مرحلة انتقالية حيث كان لابد لضمان انطلاق المدرسة من الاقتصار على إدخال تحويرات انتقالية تدريجية تمهيدا لتأسيس نظام تربوي، يساير التوجهات التنموية الكبرى، وفي هذا الإطار نصبت سنة 1962 لجنة لإصلاح التعليم عُهد إليها وضع خطة تعليمية واضحة، ونشرت اللجنة تقريرها في نهاية 1964(تعميم التعليم بإقامة المنشآت وتكيف مضامين التعليم الموروثة مع بداية التعريب التدريجي). (سناني،2016، ص07)، كما شهدت هذه المرحلة جملة من العمليات الإجرائية نذكر منها:

– التوظيف المباشر للممرنين والمساعدين.

– تأليف الكتب المدرسية وتوفير الوثائق التربوية.

– اللجوء إلى عقود التعاون مع البلدان الشقيقة والصديقة.(يحياوي، 2017، ص108)

وفي هاته المرحلة أيضا اعتمدت بيداغوجيا المقاربة التقليدية (المقاربة بالمضامين) التي تقوم على أساس المحتويات، فالنمط البيداغوجي بها تقليدي حيث أنّ المدرس يشرح الدرس، ينظم المسار، وينجز المذكرات، ويكون التلميذ متلقي، يستمع، يحفظ، يتدرب يعيد ما حفظه، إذن المتلقي هنا يقوم بعمليتين الأولى اكتساب المعرفة الجاهزة كمّا ونوعا والمرحلة الثانية استحضار هذه المعرفة حال المسائلة.(سالم وجمال، 2012، ص59)

- **المرحلة الثانية** (1971-1980): عرفت هذه المرحلة إعداد مشاريع إصلاحية كمشروع 1973 المتزامن، ونهاية المخطط الرباعي الأول وبداية المخطط الرباعي الثاني، ومشروع وثيقة إصلاح التعليم سنة 1974 التي صدرت بعد تعديلها في شكل أمر رقم 35 – 1976، وهو الأمر المتعلق بتنظيم التربية والتكوين الذي أكد على إنشاء المدرسة الأساسية، وتوحيد التعليم الأساسي وإجبارية وتنظيم التعليم الثانوي، وظهور فكرة التعليم الثانوي المتخصص وتنظيم التربية التحضيرية.(سناني، 2016، ص ص7- 8)

وقد تميزت هاته المرحلة في المجال التربوي بالخصائص التالية:

- تحديد المضامين والطرق التعليمية بالتعميم التدريجي للتعليم المتعدد الشعب بهدف تحضير شروط التنمية العلمية للبلاد.
- استخدام ميكانيزمات فعالة لتوجيه التلاميذ خلال مسارهم الدراسي.
- جعل وسائل التعليم والمضامين التعليمية منسجمة مع انشغالات المحيط.

وبالتوازي مع العمليات التحضيرية للإصلاح فقد شهد القطاع طيلة هذه المرحلة عددا من القرارات التي مست هيكلة المنظومة في كلّ أطوار التعليم، كما مسّت القطاعات المرتبطة بالشهادات وبالتكوين.(غياث، 2006، ص55)

وقد اعتمدت هاته المرحلة المقاربة بالأهداف أو بيداغوجية الأهداف، حيث كان المعلم يُهندس الحاجات والوضعيات، ويحدد الأهداف رفقة المتعلم الذي تحول من متلقي للمعرفة إلى مساهم في إعداد المادة العلمية والدروس، وباحثا عن المعرفة وكيفية توظيفها.

- **المرحلة الثالثة** (1981-1990): تميزت بجملة من التطورات التربوية والعلمية التي أدخلت على المدرسة الجزائرية، بقصد إدماجها في المحيط الاجتماعي، وجعلها جزءًامن الحياة الجزائرية بل وقائدة لعملية التطور الثقافي والتكنولوجي والعلمي في البلاد، وما يطبع هاته المرحلة هو إقامة المدرسة الأساسية ذات التسع سنوات، ابتداء من الدخول المدرسي 80-81 حيث تم تصميها لتكون وحدة تنظيمية شاملة ومتكاملة ومندمجة.(سناني،2016، ص8)
- **المرحلة الرابعة** (1990-2003): و قد تم خلال هاته المرحلة تحليل وتقويم البرامج المطبقة وتطلب ذلك وضع أدوات للتقويم، كما اضطر ذلك أصحاب القرار إلى ضرورة التخفيف من كثافة البرامج وتكييفها حسب الوضعية الجديدة الناتجة عن التغيرات السياسية والاقتصادية التي عرفتها الجزائر، حيث تم تخفيف البرامج عام 1993-1994 من خلال إعادة كتابة برامج التعليم الأساسي بدون أن تتبع هذه العملية بإعداد كتب مدرسية جديدة.(مرزوقي و تيلولين، دس، ص ص 34-35)

- **المرحلة الخامسة** (2003- إلى يومنا هذا): كان العمل بالمقاربة بالكفاءات بمعنى (تعليم التعلم) أي جعل التلميذ محورا أساسيا، فالمعلم يوجه التلاميذ إلى اكتساب القدرة على التحليل والتركيب في حلّ المشكلات، ومن ثم جعل التلميذ يسعى لاكتساب الكفاءات وتطويرها، لا جمع المعارف وتخزينها.(سناني،2016، ص8)

ويعتبر مدخل الكفاءات مقاربة بيداغوجية جديدة لتطبيق غايات الإصلاح التربوي وأهم ما تتضمنه الآتي:

- **من حيث المحتويات**: أنّ المدخل في المناهج الجديدة هو مدخل الكفاءات الذي يستلزم مقاربة محتويات التعليم في وضعيات إدماجية تكون ذات دلالة بالنسبة للمتعلم وربط مضامين التعليم بقضايا الحياة، وربط الأنشطة النظرية والأنشطة التطبيقية وتنظيم المناهج في شبكات مفاهيمية بدل التعليم الخطي، إنّ الهدف من ذلك كله هو إعطاء التعلمات معنى وجعلها أكثر وظيفية واتصالا باهتمامات المتعلم بالواقع المعاش.

- **من حيث الطرائق والوسائل التربوية**: استدعى الكم المعرفي المتزايد والمتسارع تعليم التلميذ كيفية الحصول على المعلومات بمفرده، وهذا بالتحكم في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وفي تقنياتها، كما تطلب تدفق المعارف تدريب التلميذ على كيفية معالجتها ما استوجب الابتعاد في التعليم عن التلقين وتطبيق مبدأ تعلم التعلم. (حناش وفارس، 2019 ص 114)

2- التجديد البيداغوجي في الجزائر .. مراحل، رهانات وتحديات:

يعتبر التجديد البيداغوجي بالجزائر ضرورة تربوية حيوية، تمليها التحولات التعليمية المتسارعة، خاصة في علاقاتها الترابطية بتغير وتطور التقنية الحديثة في كلّ المجالات، بما فيها المجال التعليمي.

2-1/ مفهوم التجديد البيداغوجي:

يُعرف Ravenne التجديد بأنه عملية إبداع و إنتاج شيء أو فكرة جديدة، وللتوليف بين أشياء موجودة من قبل توليفا جديدا، ويتميز الشيء أو الموضوع المبتكر بكونه أصيلا

وجديدا ومرتبطا بالغرض المتوخى، أمّا عملية ابتكاره فتتطلب عمليات متعددة مثل التخيل والقدرة على الاختيار بين قرارات متعددة للتمكن من الفعل والتنفيذ وقوة الإرادة الموصلة.(خطاب، 2012، ص123)

وفي المجال التربوي يتمثل التجديد في نقلة نوعية من وضع سائد مألوف، إلى وضع مختلف غير مألوف، وتحصل بمقتضى ذلك إضافة إيجابية لها أوجه أثر متعددة، وتكمن قيمة الفعل التجددي فيما يقترحه من حلول وبدائل، تُمكن من إعادة تنظيم عناصر العملية التربوية وهيكلتها قصد تجديد الفعل التربوي.(المؤشر التربوي، 2010، د ص)

كما عرف أبو شعيرة التجديد التربوي بأنه إدخال كلّ جديد في الأفكار والسياسيات والبرامج والطرق، والبيئة التعليمية بالفعل على اتساعها، بشرط أن يحدث تحسنا ملموسا في جودة الخدمة التربوية.(أبوشعيرة، 2008، ص363)

إذن التجديد البيداغوجي هو عملية تربوية تعليمية حيوية، تقوم بها الجهات الوصية لقطاع التربية والتعليم، وعلى مستوى المؤسسات التعليمية بإشراك الخبراء والفاعلين التربويين الممارسين للفعل التعليمي التعلمي على اختلاف مهامهم ومستويات ممارساتهم الوظيفية وذلك بهدف الإحاطة بكل النقائص (الخلل) البيداغوجية التي لوحظت من خلال الممارسة التعليمية الفعلية، وبالتالي تأثيراتها ومردودياتها على الفعل التعليمي، وعليه يصبح التجديد البيداغوجي ضرورة حتمية لمراجعة الأخطاء والنقائص، واعتماد أساليب وتقنيات وممارسات أخرى، أكثر وضوحا وفاعلية لأجل تحقيق أهداف العملية التعليمية التعلمية، ومن ثم مخرجات تمثل الجودة والنوعية التعليمية في مستويات عدة.

2-2/البدائل البيداغوجية المرافقة لتجديد النسق التربوي (بيداغوجيا الكفاءات):

يُمثل إصلاح وتجديد بيداغوجية البرامج التعليمية الهدف الرئيس إلى تحسين نوعية التعليم، كما يمثل أيضا رؤية جديدة للتربية تحاول القطيعة البيداغوجية مع التعليم الماضي وتتحدد هذه الرؤية من خلال المقاربة بالكفاءات التي تضع المتعلم محور عملية التلقين وتعطي للمعلم استقلالية أكبر.

ومن أجل فهم التجديدات البيداغوجية في النسق التربوي بالجزائر، سيتم التركيز على المقاربة بالكفاءات، باعتبارها خلاصة ما توصل إليه التجديد البيداغوجي الراهن، والذي يشتمل على المحاور الأساسية الآتية:

– **إدخال تكنولوجيا التعليم:** تعني تكنولوجيا التعليم في معناها الأكثر شيوعا الوسائل الناجمة عن ثورة الاتصالات، واستخداماتها في مجال التعليم، بمصاحبة المعلم والكتاب والسبورة والأجزاء التي تُكون تكنولوجيا التعليم هي التلفاز والأفلام وأجهزة العرض والحاسوب وعناصر أخرى من الأجهزة والبرامج، وبهذا فهي طريقة منظمة في تصميم العملية الكاملة للتعلم والتعليم وتنفيذها وتقويمها في ضوء أهداف محددة، وتوظف مزيجا من المصادر البشرية وغير البشرية لتحقيق تعليم أكثر فاعلية.(اسكندر والحصري، 1999، ص26)

كما أنّ التعليم المعاصر، يتطلب أيضا كفاءات جديدة تضاف إلى التكوين القاعدي للمعلم، مما يجعله منشطا ومؤطرا بيداغوجيا، معتمدا على الحاسوب باعتباره وسيلة لتعميق المعرفة، والمدرسة الجزائرية ضمن المقاربة بالكفاءات تعمل على إدماج الوسائل التي تخدم تقدم العلم لاسيما التكنولوجيات الحديثة للاتصال إدماجا كاملا.

– **انفتاح المدرسة على محيطها:** تهدف المقاربة التربوية الجديدة لإعطاء التلميذ الكفاءات التي تمكنه في الأخير من تحديد طريقه واختيار مشروعه الخاص في مجال التربية، كما تجعله ناضجا وأكثر استقلالية عن محيطه، من حيث أن عليه الانتقال من المؤسسة التي تراقبه إلى مؤسسة أكثر انفتاحا، تقترح معايير جديدة تسير العلاقات بين الشركاء، وتعمل على:

* توسيع الحوار بين الشركاء التربويين الداخليين والخارجيين، بما فيهم التلاميذ وإشراك الجميع في التسيير التربوي للمدرسة.
* إنتاج علاقات اجتماعية يسودها الاحترام المتبادل بين المعلم والمتعلم، علاقات تضامنية، ترفض العنف واللامساواة، وعلاقات تشاركية بين المعلمين، المدراء، أولياء التلاميذ، الجمعيات، الأحياء.

– **تغير دور المعلم والتلميذ:** ينطوي المعلم ضمن هاته المقاربة على دور الموجه، المقيِم، والمسهل لسيرورة التلقين، ويتطلب منه اكتساب كفاءات ومهارات جديدة إضافة إلى الاتجاهات

التقليدية في البحث عن المعارف العلمية، وتضم هذه الاتجاهات أيضا قدرة التخاطب واستشارة الآخرين، وعدم فرض رأيه والقدرة على تقييم ونقد ذاته.

وللتلميذ أيضا أدوار جديدة في المدرسة، حيث لم يعد العنصر الذي يتلقى المعارف بسلبية، فقد أعطت له المقاربة الجديدة حق المساهمة مع المعلم في تحضير معارفه في إطار العلاقة الأفقية المتفاعلة، فالتلميذ يبحث، يحلل ويستعمل المعلومة، وعلى المدرسة أن تعطي له الأدوار المنهجية المناسبة له.(مساك، 2009، ص375)

– **التغير على مستوى البرامج**: اعتمادا على ما وضحه (فريد عادل) في إطار الوحدة الكلية المدعمة للنسق التربوي الجزائري، فقد أدخلت مجموعة من المقاييس الجديدة خلال السنوات الدراسية 2003، 2004، 2005، بمنطق إعادة هيكلة جديدة للنسق، بإدخال المدى المسمى بالتعليم ما قبل المدرسة (التحضيري) بهدف تعميمه على الأطفال من عمر 5 سنوات، وفي مستوى التعليم الابتدائي هناك تقليص في مدة التعليم من ستة إلى خمس سنوات، وإدراج مادة جديدة هي التربية العلمية والتكنولوجية، وتدريس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية أولى ابتداء من السنة الثالثة ابتدائي، وتبني الرموز العالمية على مستوى الرياضيات مع إدراج الأمازيغية في السنة الرابعة ابتدائي.

أما التغيرات المدرجة في مستوى التعليم المتوسط فتتضمن تمديد فترة التعليم من ثلاثة إلى أربعة سنوات، واعتماد اللغة الانجليزية كثاني لغة أجنبية ابتداء من السنة أولى متوسط وكذا تبني الترميز العالمي والمصطلحات العلمية، وتعويض التربية التكنولوجية بالمادة الجديدة (العلوم الفيزيائية و التكنولوجية).(مساك، 2009،ص377)

- **الانتقال من مفهوم البرنامج إلى مفهوم المنهاج**: إنّ تطبيق بيداغوجية المقاربة بالكفاءات يستلزم التخلي عن مفهوم البرنامج، والانتقال إلى مفهوم المنهاج، إذ الأول عبارة عن مجموعة المعلومات والمعارف التي يجب تلقينها خلال مدة معينة، في حين أن الثاني يشمل كل العمليات التكوينية التي يساهم فيها المتعلم، تحت إشراف ومسؤولية المدرسة خلال مدة التعليم، أي كل المؤثرات التي من شأنها إثراء تجربة المتعلم خلال فترة معينة.

لذا فالمناهج الجديدة التي اعتمدتها المقاربة بالكفاءات تحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما الذي يتحصل عليه المتعلم في نهاية كل مرحلة من معارف وسلوكات وقدرات وكفاءات؟
- ما هي الوضعيات التعليمية الأكثر دلالة ونجاعة، لاكتساب المتعلم هذه الكفاءات؟
- ما هي الوسائل والطرائق المساعدة على استغلال هذه الوضعيات؟
- كيف يمكن أن يقوم مستوى أداء المتعلم، للتأكد من أنه قد تمكن فعلا من الكفاءات المستهدفة؟ (نعمون، 2014، ص145)

إذن المقاربة بالكفاءات كبيداغوجيا راهنة تطبق بالمدارس الجزائرية، تندرج ضمن اهتمامات العملية الاصلاحية التعليمية، التي يسعى من خلالها أصحاب القرار والمسؤولين التربويين على اختلاف مسؤولياتهم، وأيضا الشريك التربوي التعليمي ولاسيما الممارس الفعلي للعملية التعليمية (المعلم والمتعلم)، وأيضا أعضاء المكونين للجهاز الإداري والتفتيش وأيضا من خارج المدرسة ونقصد هنا الشريك الاجتماعي (جمعيات، منظمات حكومية وغير حكومية ذات صلة واهتمام بالفعل التعليمي) إلى إنتاج تعليم نوعي يتجاوز سلبيات التعليم التقليدي، وينتج بيئة تعليمية تفاعلية وتشاركية، وتقسم خلالها الأدوار بصفة منهجية مدروسة، وتكون أكثر انفتاحا على المجتمع المحلي والعالمي أيضا، لأجل مخرجات تعليمية نوعية.

3– البيداغوجيا التعليمية الراهنة بالمدرسة الجزائرية ورهان الجودة التعليمية في عصر الرقمنة:

تتحدد معالم الجودة التعليمية بالمدرسة الجزائرية، بجملة المؤشرات المرتبطة أساسا بمخرجات العملية التعليمية، وهذا ما يستوجب تجانسا فعليا بين تطبيقات المقاربة البيداغوجية التعليمية والوسائل التعليمية التي توفرها تقنيات الرقمنة الحديثة.

3–1/ مفهوم الجودة التعليمية:

يعرفها محمود عباس عابدين بأنها عبارة عن مجموعة الخصائص والسمات التي تعبر بدقة عن جوهر التربية وحالتها، بما في ذلك كل أبعادها، مدخلات، عمليات، مخرجات قريبة وبعيدة، وتغذية راجعة، وكذا التفاعلات المتواصلة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف

المنشودة والمناسبة لمجتمع معين، وعلى قدر سلامة الجوهر تتفاوت مستويات الجودة.(حافظ محمود محمد، 2012، ص81)

كما تشير الجودة في التعليم إلى جملة الجهود المبذولة من قبل العاملين بمجال التعليم لرفع مستوى المنتج التعليمي (التلميذ) بما يتناسب مع متطلبات المجتمع، وبما تستلزمه هذه الجودة من تطبيق مجموعة من المعايير والمواصفات التعليمية والتربوية اللازمة لرفع مستوى المنتج التعليمي من خلال تضافر جهود العاملين في مجال التعليم والتربية.(فاروق وعبد الفتاح، 2004، ص152)

إذن يمكننا القول بأن الجودة التعليمية هي مجموعة من الخصائص والمواصفات التي يجب توفرها في جميع عناصر ومكونات المنظومة التربوية (مدخلات–عمليات–إدارة–عاملين وغيره) حتى نحصل في الأخير على مخرجات (التلميذ، مستوى التكوين) ذات نوعية والتي تساهم إذا تم تبنيها بشكل فعلي وصحيح إلى الرفع من مستوى المنظومة ككل وضمان مستوى تعليمي لائق ومحترم.

3–2/ معايير تطبيق الجودة في المؤسسات التعليمية:

تُعد الجودة أداة فعالة لتطبيق التحسين المستمر لجميع أوجه النظام في أي مؤسسة والنظام التعليمي كأيّ نظام إنتاج آخر يعمل وفق استراتيجية معينة تراعي الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبناء الثقافي السائد والتطور التكنولوجي الراهن، لذا فإنه يهتم بأن تكون مخرجاته متفقة والمواصفات العالمية من خلال تطبيق جملة من المعايير داخل مؤسساته (المدارس)، وتتمثل هذه المعايير فيما يلي:

* **معايير مرتبطة بالمعلمين:** بمعنى العمل على تأهيل المعلم عمليا وسلوكيا وثقافيا ليعمل على إثراء العملية التعليمية وفق الفلسفة التي يرسمها المجتمع، لذلك ينبغي أن توفر له فرص النمو المهني المستمر من خلال التدريب الفاعل والمستمر ويقوم هذا المعيار على عدد من المؤشرات أبرزها:

– حجم أعضاء هيئة التدريس وكفاءاتهم التدريسية.

– مستوى التدريب والتأهيل العلمي للمعلمين.
– مساهمة المعلمين في خدمة المجتمع.(رمزي أحمد، 2008، ص230)

* **معيار جودة المنهاج الدراسي:** ويتضمن أصالة المناهج وجودة مستواها ومحتواها ومدى ارتباطها بالواقع ومواكبتها للتغيرات والتطورات المعرفية والتكنولوجية، بحيث تساعد التلميذ على توجيه ذاته في دراساته وأبحاثه في جميع أنواع التعليم، كما يجب أن توفر المناهج الدراسية النشاط التعليمي الذي يكون فيه التلميذ محور الاهتمام، ويعمل على إنتاج اتجاهات ومهارات ضرورية، الأمر الذي يسهم في زيادة وعي التلميذ ومن ثم المقدرة على التحميل الذاتي للمعلومة بالبحث والاطلاع مما يثري التحصيل والبحث العلمي.

ومن أهم خصوصيات جودة المنهج الجيد تعزيزه النواحي الروحية والعقلية والأخلاقية والثقافية والعملية للتلاميذ في المدرسة والمجتمع وإعدادهم للمسؤوليات وخبرات الحياة.(يزيد 2012، ص45)

* **معيار جودة البرامج التعليمية:** يقصد بجودة البرامج التعليمية شمولها وعمقها واستيعابها لمختلف التحديات العالمية والثورة المعرفية، ومدى تطويرها بما يتناسب مع المتغيرات العامة وإسهامها في تكوين الشخصية المتكاملة للتلميذ، الأمر الذي من شأنه أن يجعل طرق تدريسها بعيدة تماما عن التلقين، ومثيرة للأفكار وعقول التلاميذ من خلال الممارسات التطبيقية.(عليمات، 2004، ص144)

* **معيار جودة تقويم التلاميذ:** بالنظر لأهمية التحسين المستمر وضرورة تحقيق الجودة في عناصر العملية التعليمية التعلمية ينبغي وضع معايير قياس واضحة يسهل استخدامها والقياس عليها، فتقويم التلاميذ يجب أن تتنوع فيه أساليب تقويم أدائهم، وأن تسهم هذه الأساليب في التعليم والإفادة من التغذية الراجعة، ويشترط أن يتصف المقومون بالشفافية والعدالة والموضوعية في أساليبهم، وتمكين التلاميذ من مناقشة علاماتهم ومراجعتها، وكذلك قدرة هذه الأساليب التقويمية المستخدمة على تحديد مستويات التلاميذ وقياس مخرجات التعليم.

* **معيار جودة الإمكانيات المادية والإنفاق التعليمي**: حيث تشمل:

- مرونة المبنى المدرسي وقدرته على تحقيق الأهداف.
- مدى استفادة أعضاء هيئة التدريس والتلاميذ من المكتبة.
- مدى استفادة أعضاء هيئة التدريس والتلاميذ من المختبرات والورشات.
- ملائمة حجم الاعتماد المالي.(السامرائي، 2007، ص427)

* **معيار جودة الإدارة التعليمية**: إنّ جودة الإدارة في المؤسسة التعليمية تتوقف إلى حد كبير على القائد الإداري، فإن فشل إدراكه للمدخل الهيكلي نحو إدارة الجودة فمن غير المحتمل أن يتحقق أيّ نجاح، ويدخل في إطار جودة إدارة المؤسسة التعليمية جودة التخطيط الاستراتيجي ومتابعة الأنشطة التي تقود إلى إنتاج ثقافة الجودة.

* **معيار جودة العلاقة بين المدرسة والمجتمع**: وذلك من حيث مدى وفاء المدرسة باحتياجات المجتمع، وربط التخصصات بطبيعة المجتمع وحاجاته، والتفاعل بين المدرسة ومواردها البشرية والفكرية، وبين المجتمع بقطاعاته الإنتاجية والخدماتية.(عليمات، 2004، ص114).

3-3/ مفهوم رقمنة العملية التعليمية:

عرف عبد الباقي عبد المنعم أبو زيد الرقمنة في العملية التعليمية على أنها كل ما يستخدم في عملية التعليم والتعلم من تقنيات المعلومات والاتصالات، والتي تستخدم بهدف تخزين، معالجة، استرجاع ونقل المعلومات من مكان لآخر، فهي تعمل على تطويره وتجويده بجميع الوسائل الحديثة كالحاسب الآلي وبرمجياته، شبكة الأنترنت، الكتب الإلكترونية قواعد البيانات، الموسوعات، الدوريات، المواقع التعليمية والبريد الالكتروني، البريد الصوتي التخاطب الكتابي والتخاطب الصوتي، المؤتمرات المرئية، الفصول الدراسية الافتراضية، التعليم الالكتروني والمكتبات الرقمية، التلفزيون التفاعلي، التعليم عن بعد، الفيديو التفاعلي الوسائط المتعددة، الأقراص المضغوطة، البث التلفزيوني الفضائي.(أبو زيد، 2007، ص6)

وتعرف أيضا بأنها تشتمل على التقنيات التي تسمح بتجميع، تخزين، معالجة ونقل المعلومات، بحيث تعتمد على مبدأ التشفير أو الترميز الإلكتروني للمعلومة، سواء كانت في شكل معطيات رقمية، نص، صورة أو صوت. (Paquin, 1990, p7)

إذن يمكن القول أن مفهوم الرقمنة في العملية التعليمية يشير إلى عمليات دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في جميع عناصر العملية التعليمية والمتمثلة في: المدخلات (التلاميذ، المعلمين، المعدات، الأقسام، المخابر العلمية والمكتبة وغيره) وعملية التدريس (طرق التدريس، المناهج، المقررات الدراسية والأهداف التعليمية).

3-4/ التجديد البيداغوجي الدائم والمستمر باستخدامات الرقمنة، ورهان تحقيق الجودة التعليمية:

تمارس تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية أدوارا كبيرة في تطوير العملية التعليمية وتحسين جودتها وتحقيق التنمية المستدامة للمجتمع، كما أنها توفر الكثير من الجهد والوقت، فهي تعمل على:

- **زيادة فعالية العملية التعليمية:** معظم الأبحاث والدراسات تؤكد أنّ توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بطريقة ملائمة في عناصر العملية التعليمية، تسهم في زيادة فعاليتها وتحسين جودة مخرجاتها، مما يعود بالإيجاب على المجتمع ككل.
- **توفير بيئة تعليمية عالية الجودة:** من خلال الولوج للمعرفة واستخدامها في مجالات البحث العلمي، مما يسهم في إثراء المعرفة الإنسانية، وتقديم حلول فعلية للمشكلات التي يتخبط فيها المجتمع، والرقي به لمواكبة المجتمعات المتقدمة.
- **تحقيق الأهداف التربوية العامة:** إنّ استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية يساعد المدرسة على أداء وظائفها وتحقيق أهدافها.
- **تطوير الإدارة والتوجه نحو التسيير الإلكتروني:** إنّ رقمنة الإدارة وتزويدها بتطبيقات وبرمجيات يعزز عملية التواصل بينها وبين مدخلات العملية التعليمية.

– **توسيع نطاق العملية التعليمية:** فتكنولوجيا المعلومات والاتصال تحرر العملية التعليمية من حدود الزمان والمكان، وتسمح بالتواصل بين المعلمين والتلاميذ والولوج إلى المعرفة في أي وقت ومن أي مكان تصل إليه شبكة الأنترنت.

– **المساهمة في بروز أنماط جديدة من التعليم على غرار التعليم الإلكتروني:** فالرقمنة تعمل على توفير بيئة تعليمية غنية ومتعددة المصادر، تخدم العملية التعليمة بكافة محاورها تتميز بتوفير الوقت والمرونة في تلقي المحتوى، كما تعمل على إعداد جيل من الكفاءات الوطنية قادر على التعامل مع التقنيات والتطورات الهائلة التي يشهدها العالم.

– **تطوير قدرة التعلم الذاتي والتفكير النقدي:** إنّ استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يسهم في عصرنة العملية التعليمية التقليدي القائمة بشكل أساسي على التلقين من قبل المعلم، إلى نظام تعليمي معاصر يرتكز على تطوير قدرة التعلم الذاتي والتفكير النقدي، مما يؤدي إلى تكوين إطارات بشرية ذات كفاءة عالية، لديهم القدرة على رفع التحديات التي يعرفها سوق العمل والمجتمع ككل.(شلغوم، 2020، ص ص 151-154)

وفي ظلّ التطورات التي تمس المنظومة التعليمية الجزائرية فإن واقع وضرورة استخدام الرقمنة في كلّ العمليات التعليمية، خاصة ما تعلق بالمناهج والوسائل التعليمية (التكنولوجية التقنية) على غرار الكمبيوتر، والشاشات التدريسية، والسبورات الرقمية، أصبح ضرورة حيوية لتسهيل تطبيقات العملية التعليمية.

وفي ظل المقاربة بالكفاءات كمقاربة تعليمية مطبقة بالمدرسة الجزائرية، فإن ممارساتها اليوم تتطلب عمليات مرافقة للتغيرات المتسارعة التي يمر بها التلاميذ، ويعيشون ضمنها في واقعهم الاجتماعي والاقتصادي، والتقني الراهن، ما يتطلب عمليات مرافقة دائمة لهاته التطورات الحاصلة وانعكاساتها على واقع التعليم، ومن ثم نتائجه على واقع الجودة التعليمية.

وهذا ما تقوم به كبريات الأنظمة التعليمية العالمية، التي تقوم بتغيير سياساتها التربوية (المناهج ومقاربات التعليم)، وتغيير بيداغوجياتها التعليمية أيضا، حتى تفهم بوضوح

خصوصيات المتعلمين في الوقت الحالي، وتستطيع تحقيق نتائج تقويمية جيدة لمستويات تقويمهم ومن ثم تحصيلهم العلمي والمعرفي.

وتأسيسا عليه فالمنظومة التعليمية الجزائرية الحالية، فإن تحقيقها للجودة التعليمية، خاصة على مستوى المخرجات، وفي ظل التقنية المتسارعة، يبقى رهين تجديد بيداغوجي مستمر ودائم، يتجاوز فهم وتطبيقات المقاربة بالكفاءات، عن طريق عمليات نقدها وتعديلها،ومن ثم تطويرها، أو حتى تجاوزها إلى مقاربات بيداغوجية حديثة أخرى تجعل التلميذ يتكيف مع خصوصيات التعليم الرقمي المعاصر، ومع واقع الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أصبح أثرها واضحا في انعكاساته على واقع الحياة اليومية للمتعلمين.

كما أنّ المتعلم اليوم، تواق للتجديد فهو دوما يبحث عن المعرفة العلمية المستجدة ما يجعل من ضرورة التجديد البيداغوجي بشكل دائم ومستمر ضرورة حتمية، في نجاح العملية التعليمية عموما.

خاتمة:

تعتبر الجودة التعليمية أكبر رهان تتسابق لأجله كلّ الأنظمة التربوية (التعليمية) عالميا والجزائر كغيرها من هاته الدول، فإنها تضع اليوم كل القواعد والآليات، والطرائق، لأجل الوصول إلى تحقيق الجودة في منظومتها التربوية (التعليمية).

وأمام التغيرات المعاصرة، المتسارعة، خاصة، في مجال التقنية، فإن التعليم بالجزائر اليوم بعيدا عن الأزمات التي يعانيها منذ عقود، هو رهين مواكبة، ومن ثم فهم حقيقة التغيرات ولاسيما التقنية منها، ليصل إلى تفعيل تطبيقاتها على الخصوصية الاجتماعية والثقافية للمتعلم الجزائري.

إنّ الرهان الحقيقي لتحقيق الجودة التعليمية بالمدرسة الجزائرية في عصر الرقمنة، يتطلب من كلّ الفاعلين التربويين، إيجاد الآليات والطرائق البيداغوجية التي تفهم وتساير متغيرات ما أحدثته التطورات الحاصلة في مجال الاتصالات الحديثة، على الحياة الاجتماعية عموما

والتربوية على وجه الخصوص، وذلك بتفعيل تجديد بيداغوجي تعليمي بشكل دائم ومستمر، حتى يصل إلى فهم خصوصيات متعلم اليوم، ومن ثم تقديم بدائل في ممارسات الفعل البيداغوجي، وهذا الذي يؤسس إلى تعليم مرن وفعال، ويحقق الجودة في مخرجات العملية التعليمية، في مداها المستقبلي.

قائمة المراجع حسب ورودها في المتن بطريقة (APA)

(1)– أبو زيد، عبد الباقي عبد المنعم، (2007)، معوقات توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مناهج المواد التجارية بالتعليم الثانوي، المؤتمر الدولي الأول حول استخدام تكنولوجيا المعلومات لتطوير التعليم قبل الجامعي، مصر.

(2)– أبو شعيرة، خالد محمد، (2008)، المدخل إلى علم التربية، عمان، مكتبة المجتمع العربي.

(3)– إسكندر، كمال يوسف والحصري أحمد كامل، (1999)، وسائط الاتصال التعليمية الاسكندرية، نور للكمبيوتر والطباعة.

(4)– البيلاوي،حسن حسين، (1998)،الإصلاح التربوي في العالم الثالث، القاهرة، عالم الكتب.

(5)– تركي، رابح، (1989)، أصول التربية والتعليم، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ديوان المطبوعات الجامعية.

(6)– حافظ، محمود محمد، (2012)، مؤشرات جودة التعليم في ضوء المعايير التعليمية، مصر دار العلم للنشر والتوزيع.

(7)– حناش، فضيلة وفارس علي، (2019)، دواعي تبني المدرسة الجزائرية للمقاربة بالكفاءات في ضوء الإصلاح التربوي الأخير – مقاربة نظرية تحليلية –، مجلة التربية والصحة النفسية المجلد5، العدد1.

(8)– خطاب، أركان سعيد، (2012)، التجديدات التربوية في العملية التعليمية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 35.

(9)– رمزي أحمد، عبد الحي، (2008)، الإدارة التعليمية والمدرسية في ضوء إدارة الجودة الشاملة مصر، زهراء الشرق للنشر والتوزيع.

(10)– سالم، نصيرة وجمال تالي، (2012)، الإصلاحات التربوية في الجزائر أي مفهوم للإصلاح؟ دفاتر المخبر، المجلد7، العدد1.

(11)– السامرائي، مهدي، (2007)، إدارة الجودة الشاملة في القطاعين الإنتاجي والخدمي، عمان دار جرير للنشر والتوزيع.

(12)– سموك، علي، (2005)، المشروع التربوي الجزائري بين معوقات الأزمة وواقع العولمة، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد5، العدد7.

(13)– سناني، عبد الناصر، (2016)، المدرسة وجهود الإصلاح التربوي في الجزائر"ما مدى مساهمة ثقافات المدرسة في بلورة عملية الإصلاح"، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، المجلد4، العدد7.

(14)– شلغوم، سمير، (يوم1 مارس 2020)، الرقمنة كآلية لضمان جودة العملية التعليمية، أعمال الملتقى الوطني "دور الرقمنة في الجودة في التعليم العالي"، كلية الحقوق، جامعة الجزائر1.

(15)– عليمات، صالح ناصر، (2004)، إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية التطبيق ومقترحات التطوير، عمان، دار الشروق.

(16)– غياث، بوفلجة، (2006)،التربية والتعليم بالجزائر،ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع.

(17)– فاروق، فليه عبده وعبد الفتاح، الزكي أحمد، (2004)، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

(18)– قادة، يزيد، (2012)، واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم الجزائرية مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر.

(19)– المؤشر التربوي، (2010)، التجديد التربوي، نقلا عن boursepedagogique pour forum.com

(20)– مرسي، محمد منير، (1996)، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، مصر، عالم الكتاب.

(21)– مزروقي،كريمو وتيلولي نحبيب، (د.س)، الأدوار الاجتماعية في الكتاب المدرسي– ضمن سلسلة دراسات في بناء وتقويم المناهج–، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع.

(22)– مساك، أمينة، (2009)، الإصلاح التربوي والتجديد البيداغوجي في الجزائر، مجلة دفاتر المخبر، المجلد4، العدد1.

(23)– نعمون، عبد السلام، (2014–2015)، نحو منظومة تربوية تنمي إبداع المتعلم في ضوء بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، أطروحة دكتوراه تخصص الإدارة التربوية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، جامعة سطيف2 (الجزائر).

(24)– يحياوي، سماعيل،(2017)، واقع الاصلاح التربوي في التعليم الثانوي، مجلة دراسات المجلد6، العدد2، جامعة محمد بن أحمد وهران 2، الجزائر.

(25)– Paquin.Michel,(1990),Gestion des technologies de l’information, les éditions agence d’arc ,canada.